مفهوم الذكاء في التراث الإسلامي

نجده محمد عبد الرحيم جدي*

المستخلص

هدفت الدراسة الحالية إلى إلقاء الضوء على تعريفات ونظريات العقل والذكاء في التراث الإسلامي من حيث القرآن والسنة والعلماء المسلمين، تم اتباع منهج تحليل المحتوى للمفاهيم التاريخية القائم على سرد آراء العلماء والمفكرين الإسلاميين. اعتمدت الدراسة على ما ورد من كتب العلماء المسلمين والمفكرين في مفهوم الذكاء كاداة لهذه الدراسة. وتمت مناقشة الدراسة من خلال أربعة محاور أساسية. وتوصلت إلى النتائج التالية: أياً كان مصطلح العقل اوالذكاء فهي مترادفات لكلمات تحمل المعنى نفسه، تدل على قدرات عقلية عالية، تعريف العقل يدل على صفة غير مادية قد تكون فكرية أو روحية، مادية مدركة تسيره بذكاء للتصرف في المواقف المختلفة في الحياة، العقل عند علماء التراث الإسلامي استعداد فطري وأثبت أهمية الوراثة والبيئة معا على الإنسان جسمياً ونفسياً وعقلياً وسلوكياً، تباينت آراء ونظريات علماء المسلمين حول العقل الإنساني، إلا أن النظرة إلى ماهية العقل ووظيفته وتدرجه تجمعهم جميعاً.

ABSTRACT

This study aimed to highlight the definitions and theories of intelligence & Mind in the Islamic heritage from the view of Quran and Sunah and the lettered Muslims scientists. The Content Analytical methods were used for the historical concepts which based on the lettered Islamic thinkers opinions. The study based on the findings and reports of the lettered Muslims and thinkers in the concept of intelligence as tool for this study. The study has been discussed from four basic points of views and the following important results were obtained: the term of mind or intelligencer are similar and typical for wordy carrying the same meaning which shows high effective mental ability .The definition of mind shows a non -material character it may be intellectual spiritual material or materialism which runs it with intelligence for action in different situations in life .The mind according to the Islamic heritage thinkers is natural ability based on both inheritance and environmental factors that affect human body physiology, mentality, psychologically and behavioral actions.The opinions and theories of Muslims thinkers on human mind are different but they all agree with its definition, function and development.

الكلمات المفتاحية:

العقل الهيولاني – العقل بالملكة – العقل المستفاد

* معهد تنمية الأسرة والمجتمع – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المقدمة :

إنَّ الله سبحانه وتعالى سما بالذكاء الإنساني عندما خاطب العقلاء وحدد لهم وظيفة العقل ، حينما أثار التفكير فيهم وعرض عليهم صفحة الوجود حتى تقوم عليهم الحجة وتنقطع أمامهم الأعذار قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (١).

وإنَّ ضبط العقل ضروري لمعرفة حدوده ووظيفته وكيفية التفكير فيه حتى يكون العقل جوهر تدرك به الأشياء . وقد دعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر إلى تقدير العقل والرجوع إليه فيما اختص به من تفكير . ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى حتى إنَّه ليكرر هذه الدعوة بشكل ملفت للنظر ومثير للإهتمام.

ولا تأتي الإشارة للعقل في القرآن الكريم إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه . ولم يكن من قبيل المصادفة الإشارة إلى العقل في القرآن في صيغ جديدة فتارة بلفظ القلب أو الفؤاد وتارة أخرى في صيغة الفرد أو الجمع . وقد ذكر الإمام الغزالي أحد علماء الفكر الإسلامي أنَّ العقل أنموذج من نور الله (٢)

أجريت كثير من الدراسات بين علماء المسلمين في مواضيع مختلفة ومتعددة إلا أنَّ الحديث عن الذكاء في التراث الإسلامي في مجال الدِّراسات المختصة لم يحظ بالاهتمام، بالرغم من أنَّ الأمة الإسلامية أمة حية ولد في أحضانها منذ آلاف السنين معظم الأنبياء والرسل وكانت مهداً للحضارات واختارها الخالق سبحانه وتعالى لحمل رسالة الإنسانية ومنحها القدرة على الإبداع والتجديد .

وإذا كان الذكاء وليد الحضارة الغربية بمفهومه القياسي التقليدي الذي ظهر في أوربا في بداية القرن العشرين وإنتقل بعدها لامريكا وأصبح جزءاً تراثياً مهماً في حياة الإنسان المعاصر– ليس فقط كقياس للأداء أو النجاح الوظيفي أو المدرسي – بل أيضاً كسمة جمعيه من سمات مجتمعات اليوم . أن هذه الظاهرة السلوكية لم تفت على العرب المسلمين بل أيضاً تم تناولها بصياغها المحدد وإطارها التاريخي الذي كان متقدماً تماماً في عصره .

أهمية الدراسة:

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة الله في الأرض مصداقاً لقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣). وقد فضله الله على جميع الكائنات وكرمه أعظم تكريم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾(٤).

وهذه الكرامة التي اختص الله بها الإنسان ذات أبعاد مختلفة، فهي حماية إلهية للإنسان تنطوي على احترام حريته وعقله وفكره وإرادته . وتنطوي أيضاً على حقه في الأمن على نفسه وماله وذريته .

وإذا كان الله قد اختص الإنسان بالتكليف والمسئولية فإنه من ناحية أخرى قد خلق له هذا الكون بما فيه ليمارس فيه نشاطاته المادية والروحية على السواء والاستفاده من كل هذه الثمرات في هذا الكون التي تكون بالدِّراسة والفهم والتدبر والتفكير .

اهداف الدراسة:

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

(٢) الغزالي، أبو حامد بن محمد(١٩٣٩م) أحياء علوم الدين، مكتبة ومطبعة الحلبي وأولاده ، ص٤٤

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٧٠.

١. إلقاء الضوء على تعريفات الذكاء في التراث الإسلامي من حيث (القرآن والسنه – علماء المسلمين).
٢. معرفة المترادفات اللغوية لمصطلح الذكاء (العقل) في التراث الإسلامي.
٣. الوقوف على جدلية الذكاء بين التراث والبيئة من منظور إسلامي.
٤. التعرف على نظريات علماء المسلمين في الذكاء (العقل).

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على منهج تحليل المحتوى للمفاهيم التاريخية القائم على سرد آراء العلماء والمفكرين الإسلاميين. ومثل هذه البحوث لها قيمتها العلمية لأنّها تكيّف المفاهيم التاريخية تكيفاً حضارياً، وتحاول أنْ ترتقي بالمخزون الثقافي إرتقاء حاضرٍ يساعد على فهم الماضي ضمن إثراء الحاضر.

حدود الدراسة:

تختصر هذه الدراسة على ما ورد من كتب العلماء المسلمين والمفكرين في مفهوم الذكاء.

مصطلحات الدراسة:

مفهوم الذكاء (العقل): الذكاء: هو نظام من القدرات الخاصة لأدراك الحقائق العامة غير المباشرة بيقظة ودقة والإحاطة بالمشكلات مع المرانة والفطنة في حلها(٥).

وقد فسر قاموس American Heritage كلمة عقول Mind بأنها منشأ الذكاء The Original of Intellegence الذكاء حدة القلب وسرعة الفهم وتمام العقل وسرعة القبول.

التراث الإسلامي: ما يستخلص من معارف من القرآن الكريم والسنة وآراء المفكرين والعلماء المسلمين.

محاور الدراسة: ستقوم الباحثة في هذه الورقة بمناقشة مفهوم الذكاء من خلال أربعة محاور أساسية تتناولها كالآتي:

المحور الاول: تعريف الذكاء في التراث الإسلامي .

المحور الثاني: المترادفات اللغوية للذكاء في التراث الإسلامي.

المحور الثالث: جدلية الذكاء بين الوراثة والبيئة في التراث الإسلام.

المحور الرابع: نظريات الذكاء عند علماء التراث الإسلامي.

دراسات سابقة في التراث الإسلامي:

دراسة: اسراء محمد بشير مفرح ٢٠٠٩م تناولت مؤثرات الوراثة والبيئة على النمو العقلي للطفل كدراسة مقارنة بين التراث الإسلامي وعلم النفس،كما تناولت اهمية العقل في التراث الإسلامي مع بيان إسهام المفكرين المسلمين في اثراء المعارف في مجال البحوث والمعارف المتعلقة بالعقل وايضاح اثر الدين الإسلامي في تعاطي موضوع العقل.

دراسة: نجده محمد عبد الرحيم٢٠٠٥م قامت الباحثة بتصميم مقياس ذكاء من التراث الإسلامي متناولة كتاب اخبار الاذكياء لابن الجوزي، عرفت الذكاء في التراث الإسلامي وتطرقت للوراثة والبيئة وأثرها في نمو العقل وخلصت ببناء مقياس يحمل كل الخصائص السكومترية واستخرجت له المعايير الاحصائية.

دراسة: فاطمة الجيلاني٢٠٠١م قامت الباحثة باستخلاص آراء المحاسبي ونظرياته من الكتب ثُمَّ قارنتها بالآراء والنظريات النفسية الحديثة كما قامت بتقييم دراسات المحاسبي وأرائه كنموذج للنظرة الإسلامية للسلوك وتعديله اتبعت الباحثة في دراستها على أسلوب الجمع والتحليل والنقد والتعليق والمقارنة وعند مقارنة تلك الأساليب بالأساليب الحديثة وجدت أن هناك توافقاً واضحاً

(٥) عريفج ، سامي(١٩٩٩م) علم النفس التربوي، ط٤ ، د. ن ، ص٦٠.

بين ما أتبعه المحاسبي وما هو متبع في العصور الحديثة . وترى الباحثة أن الإمام المحاسبي عالم من علماء علم النفس من حقه أنْ يجد له مكاناً بين علماء النفس القدامى والمحدثين وأنْ تدرج نظرياته مع النظريات المعروفة .

دراسة : عفاف مساعد بشير ١٩٩٩م هدفت الدِّراسة إلى البحث في العلوم الإسلامية باعتبارها مواد غنية للدّراسة والبحث . و التعرف على كل من المفهوم الإسلامي ورأي علم النفس في التفكير وتوضيح ثراء الرّؤى الإسلامية فيما يخص التفكير ومحاولة جمع هذه الرّؤى لتكوين نظريات متكاملة تبين شمولية الإسلام في هذا المجال . أتبعت الدّارسة منهج العرض والشرح . وخلصت الدِّراسة إلى ما دعا المشتركين إلى التفكير العقلي فيما لديهم من معتقدات وهل تتفق مع المعرفة الصحيحة و الحقة . وتحمل مسئولية نتائج خبراتنا ومعرفتنا من ضروريات التفكير السليم.

دراسة : شادية التل ١٩٩٥م هدفت الدِّراسة إلى إبراز الخصائص النمائية للمظاهر المختلفة (الجسمية_العقلية _الاجتماعية ــ الانفعالية والروحية) في كل مرحلة من مراحل النمو الا نساني من وجهة النظر الإسلامي متمثلة في القرآن الكريم والسنة الشريفة وتراث السلف الصالح. كما هدفت الدِّراسة إلى إبراز الجوانب التطبيقية المرتبطة بالتربية الإسلامية للأبناء في مراحل النمو المختلفة ْكانت أهم النتائج أنْه لا غرابة في أنْ نجد الآراء التربوية التي نادى بها السلف الصالح من المربيين المسلمين تحتل المرتبة الأولى في النظريات التربوية.

دراسة: هشام عثمان خوجلي ١٩٩٣م: هدفت الدراسة إلي تحليل وتقييم أهم الآراء الحديثة في هذا المجال النفسي المهم وإخضاعها لمعايير ذات أصول إسلامية والإسهام في وضع الأسس المتعلقة بأسلمة علم النفس الأخلاقي من خلال إعطاء خلفية عن نشأة علم النفس الأخلاقي . كانت أهم النتائج التي توصل إليها فشل علم النفس الحديث في المجال الأخلاقي في تلبية حاجات الإنسان الخلقية التي تكفل للأفراد والجماعات الحياة الاجتماعية المؤسسة على القيم المثالية الثابتة التي تضمن تحصيل السعادة . كما يجب على علماء النفس أن يحاولوا إعادة صياغة علم النفس الحديث من منظور إسلامي وبيان آراء العلماء المسلمين القيمة وتسليط الضوء عليها حتى تثبت قيمتها الفكرية .

دراسة: الزبير بشير طه ١٩٩٢م تأتي أهمية الدِّراسة في محاولاتها لارجاع النّصاب لأهله من خلال عرضها للوظائف الذهنية التي تحدث عنها علماء النفس المعاصرون، ومقارنتها مع ما ورد في التراث الإسلامي وقد عبر عن ذلك ــ القوة المصورة – الحس المشترك – الحافظة الذاكرة وكيفية صيانة ما فيها – القوة الذهنية – القوة المتخيلة الأسس العصبية للقوة المتخيلة . توصل إلي أنْ علماء التراث الإسلامي عكفوا على فكرة الحواس الباطنة الأرسطيه فأعادوا صياغتها بطريقة جذرية جعلها أشبه بما يُسمَّي بالبنيات الذهنية. الفارابي أول من إبتدر فكرة الذاكرة العربية وسماها " القوة الوهمية " وتطورت على يد الغزالى وابن سينا. كما طور ابن سيناء والغزالى مفهوم القوة المتخلية كواحدة من القوة النفسية. وإنفرد ابن سيناء بالتحري في الفسلجة الدماغية للوظائف الذهنية . ثُمَّ بَينَّ إسهام علماء التراث في تحليل العمليات الذهنية وإحاطتهم بعمليات الترميز والتداعي والتذكر والنسيان .

دراسة فاطمة الجيلاني السيد ١٩٩٢م هدفت الدِّراسة إلى إستخلاص فكر المحاسبي في مجال علم النفس ومقارنته بأفكار علماء النفس المعاصرين . وذلك من خلال مقارنة نقدية بين أفكاره ونظريات علم النفس الحديث كمحاولة

لتأهيل علم النفس الإسلامي ومعرفة مدى تأثر الفكر الغربي بآراء وأفكار المسلمين . قامت الباحثة بدراسة كثير من الكتب ذات العلاقة بالدِّراسة أوضحت الكثير من المصطلحات التي يستخدمها المتصوفة والمفكرون المسلمون مثل العقل، القلب، النفس، الروح . خلصت الدِّراسة بأنَّه لزاماً على الدّارسين في علم النفس أن يعيدوا النظر في إسهامات علماء التراث الإسلامي . جميع الدراسات السابقة تناولت العقل البشري.

عرض ومناقشة المحاور:

المحور الأول: تعريف الذكاء في التراث الإسلامي.

ستتم مناقشة المحور الأول من خلال عدة نقاط:

أ. تعريف العقل لغوياً:

من عقل الشيء لغة وهو الحبس عن الأقوال والأفعال الذميمة ويطلق على الحجر والنهى والعاقل: الجامع لأمره ورأية والمعقول ما تعقله بقلبك، والعقل التثبيت في الأمور وقيل القلب لحبسه صاحبه عن التورط في المهالك، والتمييز الذي يميز الإنسان عن الحيوان وعقل فلان إذا أقام على إحدى رجليه. وهو نقيض الجهل ويقال للقوة المتهيئة بقبول العلم ، وللعلم الذي يكتسبه الإنسان بالعقل[٦]. وقيل هو العلم بصفات الأشياء حسنها وقبيحها. وعقيلة القوم سيدهم والعاقلة الماشطة والمؤازرة[٧].

عَقَلَ ــ عقَلا: إدراك الأشياء على حقيقتها. وعَقَلاً وعُقولاً: لجأ وتحصف تَعَقّلَهُ عن حبسه ومنعه. الَعقلُ ما يقابل الغريزة التي لا اختيار لها . وما يكون به التفكير والاستدلال وما يميز به الحسن والقبيح والعاقل المدرك . والَعقيلة : السيدة المخدرة ــ سيد القوم[٨] .

والَعقْلُ: الحجر والنهي، وهي ضد الحمق وفي حديث عمرو بن العاص : تلك عقول كادها بارئها، أي أرادها بسؤ. ورجل عاقل هو الجامع لأمره ورأيه. والعاقل الذى يحبس نفسه ويردها عن هواها والمعقول ما تعقله بقلبك. والمعَقول العقل والعقْلُ التثبت في الأمور. والعقلُ القلب. وعقَّلتهُ أي صيّرته عاقلاً. وتَعَقَّل تكلف العقل وتعاقل أظهر انه عاقلُ[٩] ورد في المنجد العَقُل نور روحاني به تدرك النفس ما لاتدركه الحواس. وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي لحبسه[١٠] .

وعند الرجوع إلى معاجم علم النفس وقواميس اللغة نجد أن كلمة عقل مرادفة لكلمة ذهن وفطنه وفكر . ففي معجم علم النفس والتحليل النفسي تعرف كلمة عقل بما يلي:

- يقصد به الذكاء أو الذهن والنسبة إليه عقلي. فإن قلنا إنَّ فلاناً له عقل ممتاز كنا نقصد أنه على درجة عالية من الذكاء والفهم وان قلنا أن فلاناً ضعيفاً في العقل فأننا نقصد إن ذكاءه قاصراً وضعيفاً (Munir , 1979).
- الـ Almawrdi فسر كلمة Mental العقلي ذهني أو فكر كذلك عرف كلمة Mentality عقل وذكاء وذهن .
- أيضاً قاموس American Heritage يفسر كلمة عقول Mind بأنها منشأ الذكاء The Original of Intellegence
- الذكاء حدة القلب وسرعة الفهم وتمام العقل وسرعة القبول.

---

(٦) الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٩٦١م) المفردات في غريب القرآن، "تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ص٤٤٦

(٧) ابن منظور، محمد بن مكرم(١٩٩٠م) لسان العرب، المعارف المصرية، مصر ، ص٤٦٦

(٨) أنيس، إبراهيم وآخرون (١٩٧٢م) المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث العربي، ج١، ط٢، بيروت، ص٦١٦

(٩) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٤٥٠

(١٠) المنجد، صلاح الدين(د.ت) المنجد في اللغة والإعلام ، ط٢٨، دار المشرف، بيروت، ص٥٤٠

ب. تعريف الذكاء :

فالذكاء كلفظ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقل وهو لفظ شامل يشير للملاحظة والفهم والتفكير والتذكر وجميع طرق المعرفة والحصول عليها. والذكاء يعني حدة العقل وسرعة الفهم وتمام العقل وسرعة القبول(١١). ورد في لسان العرب ذكت النار واستذكت اشتد لهيبها واشتعالها. والذكاء شدة وهيج النار، ذكت النار أتممت اشعالها والتذكيه الذبح على التمام. وذكت الشمس اشتدت حرارتها . ويقال للصبح ابن ذُكاء لانه من ضوئها.

والذكاء حدة الفؤاد وسرعة الفطنة، يقال ذكو قلبه يذكو إذ حي بعد بلادة فهو ذكي . والذكاء حدة القلب وسرعة القبول(١٢) .

أمَّا كتاب الإفصاح فقد ذكر أن الذكاء الفطنة وسرعة الفهم والفطنة الذكاء الحذق والفهم معرفتك الشيء بالقلب(١٣) .

وفى القاموس المحيط استذكت اشتد لهيبها والذكاء سرعة الفطنة. وابن ذُكاء الصبح ومسك ذكى ساطع ريحه وسحابه مذكيه أمطرت مرة بعد مرة. والذكاء عند بعضهم سرعة الفهم وحدته. قال الزَّجْاج الذكاء في اللغة تمام الشيء وفق الذكاء في السنة في تمام السنن ومنه الذكاء في الفهم وهو أن يكون فهماً تاماً سريع القبول وذكيت النار أي أتممت إشعالها وعن أبي بكر الانباري قال : فلان ذكي معناه كامل الفطنة من قول العرب قد ذكت النار تذكو إذا تَمَّ وقودها ويقال أذكيتها إذا أتممت وقودها ويقال مسك ذكي إذا كان تام الطيب كامل نفاد الريح (قال جميل).

صادت فؤادي بعينها ومتبسم
كأنه حين أبدته لنا برد
وعذب كأن ذكي المسك خالطه
والزنجبيل وماء المزن والشهد

ويقال ذكيت الشاه إذا أتممت ذبحها والعرب تقول : جرى المذكيات غلاب أي جرى السباحة وذلك أن المذكية من الخيل هي التي تمت قوتها وشبابها تحمل على الخشن من الأرض للثقة بقوتها وصلابتها وأنها ليس كالصغار و الجذاع التي نطلب لها الرخاوة من الأرض لضعفها وصغرها. وبعضهم يقول جري المذكيات غلاء والغلاء جمع غلاوة وهو مدى الرحبة.

قال الشاعر في الذكاء الذي معناه تمام الفطنة :

سهم الفؤاد ذكاوةً ما مثله
عند العزيمة في الانام ذكاء

وقال زهير في الذكاء الذي معناه تمام السنن:

ويفضلها إذا اجتهدت عليه
تمام السن منه والذكاءُ

وقال الشاعر في الذكاء الذي معناه إيقاد النار :

وتضرم في القلب اضطراماً كأنه
ذكاء النار توقيه الرياح النوافح

وأَذكيت عليه العيون إذا أَرسلت عليه الطلائع قال أَبو فراش الهزلي :

وظل لنا يوم كان أواره
ذكاء النار من نجم الفروع طويل

وفي معجم مقاييس اللغة الذكاء سرعة الفطنة والفعل منه ذكى يذكى – ويقال في الحرب والنار أذكيت أيضاً الذي تزكو به ذكوه – والفرس المذكي الذي يأتي عليه بعض القروح منه يقال ذكى يذكي، والعرب تقول " جرى المذكيات غلاباء " والذكاء ذكاء القلب(١٤)

ج. العقل في القرآن والسنة:

ورد لفظ العقل في القرآن الكريم بمشتقاته في سبعة وأربعين موضعاً كما في قوله تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١٥). وفي قوله تعالى:

(١١) فرج عبد القادر طه وآخرون(د.ت) معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د . ت ، ص ٢٩٣

(١٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٢٨٧ – ٢٨٨

(١٣) الصعيدي، حسن(١٩٨٧م) الإفصاح في فقه اللغة، بيروت ، دار الكتب العلمية، ص١٤٢

(١٤) ابن فارس، أبو الحسن (١٩٧١م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة ، البابي الحلبي ، ص٦٩

(١٥) سورة البقرة، الآية ٤٤.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [١٦] وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [١٧] وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [١٨].

هذه لمحات سريعة عن مشتقات العقل التي وردت في كتاب الله وهو يدلنا على أهميته العظمى التي من أجلها جعل مناط هذا التكليف ومن ثُمَّ حرص على أن نحافظ عليه ضمن الكليات الخمس التي يحفظها بجمع الخير للإنسان .

أمَّا العقل في السنة فقد ورد فيه نقل كثير من احاديث رسول الله ﷺ منه ما كان من مشتقاته ومنه ما كان بمعناه [١٩].

د.العقل في الاصطلاح:

تعددت التعريفات عند علماء المسلمين وكانت أغلبها تدور حول وظائفه دون ماهيته وربما أدرك العلماء عدم جدوى البحث فيما يعتمد العقل عن الإجابة عنه بل من الأفضل تلمس آثاره في حياتنا في المعرفة والسلوك والأخلاق[٢٠] ومن تعريفات العقل انه قوة خفية تدرك بها الأشياء وهي هدية سماوية لتمييز الحق من الباطل والخبيث من الطيب سواء حملت اسم القلب أو العقل أو العلم [٢١] . وقيل العقل نور وظيفته كشف أسرار الكون[٢٢] وقد ذهب كثير من أهل السنة إلى إن العقل غريزة كأنها نور يقذف في القلب وبه يستعد المرء لإدراك الأشياء، أودعها الله بأكثر خلقه ولم يطلعهم عليها ولم يطلعوا عليها بمداركهم الحسيه بل عرضهم إياها بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم[٢٣] .

أما محله فقد قال : ابن حنيفه ان محله الدماغ وذهب جماعة إلى انه في القلب[٢٤] .

والعقل من حيث مدلوله اللفظي العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عما هو محظور ومنكور ومن هنا كان اشتقاقه من مادة عقل التي يؤخذ منها العقال. من ذلك يقول الجاحظ : (وانما سُمِّي العقل عقلاً لانه يذم اللسان ويمنعه أن يمضي في سبيل الجهل أو المضرة كما فعل التعبير، وللعقل خصائص عديدة منها انه مكان للإدراك التي يناط بها الفهم والتصور وإدراك الأمور، ومنها أنه ملكة الحكم فهو يتأمل فيما يدركه ويقلبه على جميع وجوهه ويحكم عليه. ويتصل بملكة الحلم وملكة الحكم أيضاً. ومن خصائص العقل أيضاً الرشد وهو تمام النضج فالعقل الرشيد ينجو به الراشد من الوقوع في مهاوي التضلل والاختلال[٢٥] .

اذاً يمكن أن نقول: إنَّ بالعقل وقدراته يمكن أن نذكر المعلومات واستخدامها بطريقة ملائمة ونذكر أحكاماً دقيقة على الأشياء . كما وان الاتقان في استخدام العقل يحقق التوافق الإجتماعي والتكيف مع البيئة .

هـ. تعريف علماء التراث الإسلامي للذكاء:

استخدم مصطلح العقل مرادفاً للذكاء في أغلب كتب التراث الإسلامي. وعليه فقد ذكر علماء التراث الإسلامي تعريفات عديدة للعقل وبصيغ

([١٦]) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

([١٧]) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

([١٨]) سورة الملك، الآية ١٠.

([١٩]) ابن الجوزي، عبد الرحمن (١٩٨٨م) الأذكياء، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ص٧

([٢٠]) سالم، عبد العال مكروم(١٩٨٢م) مكانة العقل في الفكر الإسلامي، مجلة التضامن والفكر الإسلامي، مجلد ١٠، فبراير ١٤٠٢ هـ، مجلد ١٠، ص٣٧

([٢١]) الغزالي، إحياء علوم الدين، ص١٤٦

([٢٢]) ابن الجوزي، الأذكياء، مرجع سابق، ص١٠

([٢٣]) المحاسبي ، الحارث ابن أسد(١٩٧٠م) العقل وفهم القرآن ، تحقيق: القوتلي ، ط٢ ، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ص٢١٠

([٢٤]) ابن الجوزي، الأذكياء، مرجع سابق.

([٢٥]) العقاد، عباس محمود(١٩٦٩م) التفكير فريضة إسلامية ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٨

متعددة مثل الاستدلال والذهن الإدراك وغيرها، ولقد اهتم العرب المسلمون بالذكاء في كافة صوره وأشكاله ونبع إهتمامهم من إهتمام الإسلام بالعقل البشري فالذكاء في نظرهم قدرة عقلية والذكاء يعني الفطنة، والفطنة والفراسه لهما جذورهما العميقة في حياة وتاريخ العرب ، فلقد جُبِلَ العربي في بيئته الصحراوية على الفطنة والذكاء والفراسة. وفيما يلي عرض لمعرفة آراء علماء التراث الإسلامي في العقل والذكاء من نقطتين مهمتين :

أولاً: حدد ابن القيم مراتب للعقل، كانت كما يلي:

التفكر: يقصد به إحضار معرفتين في القلب ليستثُمَّر منهما معرفة ثالثة .

التذكر: هو استعمال فكرة وإحضارها، أي إحضار العلم المخزون بعد ذهابه وغيبته.

الاعتبار: وهو خلاصة الفكر أي إنَّ العلم صار وسيلة لبلوغ الهدف المقصود.

التدبر: النظر في عواقب الأمور

الاستبصار: هو تبين الأمر وتجليه للبصيرة .

هناك كثير من الآيات التي تدعو إلى التفكير والنظر، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ [٢٦] . تمكن العلماء المسلمون الذين حصروا الإطار المرجعي والمصدر المعرفي لتفكيرهم في الإسلام ودلالاته من استخدام الطريقة السليمة في التفكير وإنْ كان ذلك يتم دون تسمية للطريقة ودون تحديد مفصل لطبيعة التفكير وعناصره لأن الحاجة لم تدع لذلك .

التفكير مهم جداً تربوياً إذ يميز الإنسان عن الحيوان، ويرتفع نشاطه الروتيني إلى نشاط ذكي يستطيع بذكائه التأملي إعداد نشاطاته بالبصيرة والهدف والتخطيط اللازم لتحقيق هذا الهدف[٢٧] .

والقلوب التي تعقل العلم كالأرض التي تستقبل المطر ففيها الأودية ومجاري السيول والغثاء ما يحمله السيل فيطفو على وجه الماء زبداً رابياً تحته الماء الفرات الذي تحتاجه الأرض ويخلف الوادي الغثاء ويبقى الماء النافع قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [٢٨]

أما الماوردي، فقد عرّف العقل بأنّه (العلم بالمدركات الضرورية) ثُمَّ نوه مدللاً على ذلك بقوله إذا صار الإنسان عالماً بالمدركات الضرورية فهو كامل العقل[٢٩].

ثانياً: وقد تناول بعض العلماء المسلمين مفهوم العقل وعلاقته بالشريعة وأوامرها ونواهيها ودوره في توجيه سلوك المسلم التوجيه السليم من خلال احاطته بمقتضيات الشريعة ومبادئها إضافة إلى إدراك الكون وما فيه من مخلوقات وقد ركزوا على الربط بين العقل والقلب حتى إنَّ بعضهم صنف العقل على أنه القلب، يقول الغزإلى : إنَّ العقل يعني العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب أما المعنى الآخر الذي يراه الغزإلى فهو أنّه المدرك للعلوم وأعني به القلب[٣٠].

ومن فلاسفة الإسلام الذين تناولوا العقل بالتعريف ابن رشد وابن سيناء حيث يعرفه الأول بأنه قوة تجريد من شانه أنْ ينتزع الصور ويتصورها على كنهها لإظهارها وهناك صور كثيرة للعقل منها

([٢٦]) سورة الغاشية، الآيات (١٧-١٨-١٩).

([٢٧]) المليجي، حلمي(١٩٨٣م) علم النفس المعاصر، ط٥، دار المعرفة الجامعية، ص١٦٧

([٢٨]) سورة الرعد، الآية ١٧.

([٢٩]) الماوردي، علي ابن حبيب(١٩٧٨م) أدب الدين والدنيا ، ط٤، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢١

([٣٠]) الغزالي، أحياء علوم الدين، مرجع سابق، ص٤.

العقل بالفعل والعقل بالقوة والعقل بالملكة، ابن سيناء يعرف العقل القدسي بأنّه كالعقل الهيولاني يكون فيه شديد الاتصال بالفعل الفعال كان كل شي من نفسه[٣١] .

وقد عرفه الحارث المحاسبي بأنّه غريزة وضعها الله سبحانه وتعالى في أكثر خلقه ، لم يطلع عليها العباد هذا وقد وردت أقوال كثيرة حول العقل على ألسنة سلف هذه الأمة منها قول معاوية : إنَّ العقل عقلان عقل تجارب وعقل فطره كذلك يُرْوَى قولهم لا تنظروا إلى عقل الرجل في كلامه ولكن انظروا إلى عقله في مخارج أموره كذلك من الأقوال ما يربط بين العقل والحلم وطول النظر والتمعن إضافة إلى التجارب كمحك يصقل من خلاله العقل ويتضح.

وقد عرف العقل العربي الإسلامي بأنّه هو كل ما يحمله العقل من آراء وأفكار وتصورات حول ذاته وأمته و دوافعه والعالم أجمع وكل قضايا الحياة اليومية ذات الطابع الفردي أو الجماعي مهما كانت الثقافة التي كونته إضافة إلى المبادئ والقواعد العقلية التي توجه النشاط والحركة والفاعلية سواء تم ذلك بشكل شعوري أو لا شعوري[٣٢] .

ويعرف ابن الجوزي الذكاء بأنّه (حد الذهن وقوة النفس المهيأة لاكتساب الآراء وحد الفهم جودة التهيؤ لهذه القوة، وحد الذكاء جودة حدس من هذه القوة يقع في زمان قصير غير ممهل وبهذا حددوا الفهم فقالوا حد الفهم العلم بمعنى القول عند سماعه) والذكاء عند ابن الجوزي هو البنية الذهنية التي تقوم بعملية الفهم[٣٣] .

إذا يمكن للباحثة أن تقول إنَّ تعريف العقل يدل على صفة غير مادية ملازمة للانسان مميزة له من الحيوان. والعقل متعلق بكل مناشط الكائن البشري سواء كانت فكرية، روحية، مادية او مدركة تسيره بذكاء للتصرف في المواقف المختلفة في الحياة.

المترادفات اللغوية للذكاء في التراث الإسلامي

وردت كثير من المصطلحات والمترادفات اللغوية التي تدل على مفهوم الذكاء في التراث الإسلامي، وبالرغم من اختلاف هذه المفاهيم ووروودها في مواقف كثيرة بمعاني مختلفة إلا اننا اذا بحثنا فيها وتفحصناها نجد انها في النهاية تدل على إعمال للعقل بذكاء وحصافة وحضور ليكون به الشخص في أفضل حال.

العقل في التراث الإسلامي :

هناك العديد من المعاني والمرادفات المرتبطة بالذكاء والعقل في اللغة العربية الواسعة البليغة والتي تقترب من الذكاء ومعانيه ولقد ورد ما معنى العقل في العديد من المناحي في القرآن الكريم والسنة فمثلاً .

١. القلب:

هو الفؤاد وقد عبر بالقلب عن العقل وقد يراد بلفظ القلب معنى العقل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[٣٤]. يرى ابن هشام أربع معان للقلب منها الفؤاد والعقل.

٢. الكياسة:

الكيس خلاف الحمق وهو العقل والقلب بالكياسة. في الحديث (انمَّا ماكستك لأخذ جملك) أي غلبتك بالكياسة . جاء في تاج العروس، الكيس المتوقد الذهن، العقل والفطنة ومنه الحديث (هذا من كيس

---

(٣١) بركات، لطفي(١٩٨١م) الفكر التربوي في رعاية الموهبين، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ص ٩٣.

(٣٢) أبو حطب، فؤاد(١٩٨٩م) نحو وجهة نظر إسلامية لعلم النفس، أبحاث ندوة علم النفس التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالاشتراك مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية، القاهرة، ص، ٤١٠

(٣٣) طه، الزبير بشير(١٩٩٥م) علم النفس في التراث الإسلامي ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ص١٤٩

(٣٤) سورة ق، الآية ٣٧.

أبي هريرة) أي من فقهه وفطنته لا من روايته[٣٥] .

الكيس الخفة والتوقد[٣٦] وقد ورد الكيْس العقل والفطنة والكياسة تمكن النفس من ما هو أنفع وكياس الفطن الحسن الفهم[٣٧] والكياسة تمكن النفوس من استنباط ما هو أنفع[٣٨].

٣. النٌهى:

وردت في اللسان بمعنى العقل قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [٣٩]. والنهيه العقل وسميت بذلك لأنها تنهى عن القبيح ، والنُّهى العقول والألباب ، فلان ذو نهيه أي ذو عقل ينتهي به عن القبائح ويدخله في المحاسن[٤٠] .

وأولي النهى هم أصحاب العقول الذين دعاهم القران للتفكر والنظر في آيات الله الكونية وجاءت في المنجد النَهى ونهُون المتناهي العقل يقال : هو أنه العقل مما به[٤١] ووردت أيضاً في المعجم الوسيط النهُيْه الشيء وآخره[٤٢].

٤. الفطنة :

الفطنة كالفهم ضد الغباوة، أما الفطنة فهو ذو فطنة للأشياء، والتفطين التفهيم . فطن وفطن وفطنة وفطانية إدراك وفهم وحذف[٤٣] والفطانة قوة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه ونعني الحذف والمهارة[٤٤] الفهم والعقل والذهن حفظ القلب والذهن والفطن والحفظ[٤٥].

٥. الذهن:

تعني الفهم والذهن والعقل، والذهن حفظ القلب كذلك الذهن الفطنة والخلق وفي القاموس جاءت بمعنى الفهم والعقل وحفظ القلب والفطنة[٤٦]. وذهن الأمر نهمه وعقله وذَهَنا الشيء فهمه . الذِهْن جمعها أذْهَان تعني الفهم والقوة في العقل[٤٧].

٦. الفراسة:

فراسة بالعين في إدراك الباطن من نظر الظاهر[٤٨] التفرس بمعنى التثبيت والنزر، يقال فرس فلان إذا حذق ويقال إنَّ فلاناً لفارس بذلك الأمر إذا كان عالماً به . نبه ابن الأثير إلى أن الفراسة تقال بمعنيين أحدهما ما دل ظاهر الحديث عليه وهو نوع من الكرامات وإصابة الظن الحدس . الثاني نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف أحوال الناس. والفراسة تعني المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظاهرها ومن الحديث (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فراسة)[٤٩].

٧. الحِجا :

ورد في المعجم الوسيط بمعنى العقل والفطنة[٥٠] والحِجا الستر والعقل[٥١] .

([٣٥]) الزبيدى، مرتضى محمد الحسين (١٩٧٦م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود الطحاني، راجعه مصطفى حجازي، الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، ص٧٠

(٣٦) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص١٤٢

(٣٧) المنجد، صلاح الدين(د.ت) المنجد في اللغة والإعلام ، ط٢٨، بيروت، دار المشرف ، ص٧٠٥

([٣٨]) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٨٠٧

([٣٩]) سورة طه ، الآية ٥٤.

([٤٠]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٢٠٠٠-٢٠٠١

([٤١]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٤٨

([٤٢]) أنيس، وأخرون ، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٩٦٠

([٤٣]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٥٨٨

([٤٤]) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٦٩٠

([٤٥]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٥٠

([٤٦]) المرجع السابق، ص١٥٣٦

([٤٧]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٢٤٠

([٤٨]) المرجع السابق، ص٥٧٥

([٤٩]) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٦٨١

([٥٠]) أنيس، وأخرون ، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص١٥٩

([٥١]) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص١٥٩

٨. الِحجر:

العقل واللب لإمساكه ومنعه وقيل الحجر العقل[٥٢] وجاء في المنجد الحجر جمع حجْور وأصحاب : العقل لأنه يحجز أي يمنع الإنسان ممـــا لا يليـــق به[٥٣] وورد في المعجم الوسيط بمعنى العقل[٥٤]. بالكسر العقل واللب والإحاطة بالتمييز قال تعالى: ﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ ﴾ [٥٥] .

٩. الحذق :

الحذاقة هي المهارة في كل شـــيء حذقـــه فهـــو حازق والاسم الحذاقة .

١٠. اللقانة: سرعة الفهم[٥٦].

١١. الحلم:

الحلم بالكسرة الأناة والعقل وجمعه أحلام وحلوم . أحلام القوم حلماؤهم الحلم نقـــيض الســـفه وفـــي الحديث (ليتني منكم أولو الأحلام والنهى) أي ذوو الألباب والعقول الحلم التثبيت في الأمور، وذلـــك شـــعار العقـــلاء، وأحلمـــت المـــرأة إذا ولـــدت الحكماء[٥٧] .

أحْلام وحُلوم العقل (تأمرهم أحلامهم بكـــذا) أي عقولهم [٥٨] والحلم الأناة وحفظ النفس والعقل[٥٩] .

١٢. اللّوذعية:

ورد في اللسان أنها من التلذع والتوقد، اللّوذعي، الحديد الفؤاد، واللسان الظريف كأنه يلـــذع مـــن ذكائه و اللوذعي الظريف الذهن الخفيف الذكي . وهو الفصيح صادق الظن الجيد الحدس [٦٠] .

واللوذع واللوذعي : الذكي الذهن الحديد الفؤاد[٦١] اللوذعي الخفيف الذكي الظريف الذهن والنفس[٦٢] .

١٣. البصيرة:

البصر من القلب نظره وخاطره، والبصر نفاذ من القلب في اللسان وبه فسرت الآية ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ﴾[٦٣] والبصير العالم (رجل بصير بالعلم) أي عالم به بصرت بالشيء أي علمته قال تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ ﴾ [٦٤]. وقوة البصيرة في الأصل في قيمة المعرفة .

والبصيرة جمعها بصائر تعني العقل والفطنـــة[٦٥] والبصيرة تعني قوة الإدراك والفطنة[٦٦] .

الاستبصار : هو تبين الأمر وتجليه للبصيرة [٦٧] .

١٤. الألمعية:

تعني الذكاء[٦٨] وردت في فقه اللغة بمعنى الحافظ لما يسمع والألمعي الرجل الحديد القلب المصـــيب الرأي[٦٩].

الألمعي هو الداهي الذي يتظنن الأمور فلا يحظى وقيل هو الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب وقيل الألمعي إذا لمع له أول الأمر عـــرف آخـــره[٧٠] والألمعي الذكي المتوقد . الصادق الفراسة [٧١].

([٥٢]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٤٢

([٥٣]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص١١٩

([٥٤]) أنيس، وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص١٥٧

([٥٥]) سورة الفجر، الآية ٥.

([٥٦]) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص ٢٤٥.

([٥٧]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص١٤٦

([٥٨]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص١٥٠

([٥٩]) مصطفى، ابراهيم أنيس وأخرون، المعجم الوســـيط، مرجـــع سابق، ص١٩٥

([٦٠]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٢٥٠

([٦١]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٧١٩

([٦٢]) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجـــع ســـابق، ص٨٢٢

([٦٣]) سورة الملك ، الآية ٣.

([٦٤]) سورة طه، الآية ٩٦.

([٦٥]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٤٠

([٦٦]) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجـــع ســـابق، ص٥٩

([٦٧]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص١٤٦

([٦٨]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٧٣٤

([٦٩]) الصعيدي ويوسف، عبد الفتاح وحسين(١٩٨٧م) الإفصاح في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٨٣٠

([٧٠]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٣٢٣ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد(١٩٦١م) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر .

([٧١]) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجـــع ســـابق، ص٨٣٩

١٥. التدبر:

التدبر هو النظر في عاقبة الأمر، أي ما يؤول إليه عاقبته قيل التدبر التفكر استدبر الأمر رأى عاقبته ما لم يرَ في صدره . في الكتاب العزيز ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ [٧٢] أي ألم يتفهموا ما خوطبوا به في القران الكريم وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [٧٣] أي أفلا يتفكرون فيعتبرون فالتدبر هو التفكر والتعلم[٧٤] .

١٦. اللب:

في اللغة يعني العقل، واللب هو الجوف ــ اللباب العقل الخالص من الشوائب أو ما ذكاء من العقل واللبيب العاقل[٧٥]. وقد ورد لفظ اللب في القران الكريم بمعنى العقل وكلمة الألباب تعني العقول وهي جمع عقل قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [٧٦] .

ورد في اللسان لب كل شئ خالصه ولب الرجل ما جعل في قلبه من العقل[٧٧] .

١٧. الإربٌ :

الإربٌ من الدهاء والبصر بالأمور وهو من العقل، الأريب ذو دهي وبصيرة[٧٨].

وجاء في المنجد الإربة : الدهاء والحيلة[٧٩] ووردت الإرب المعجم الوسيط والدهاء والفطنة والعقل[٨٠] .

١٨. الحصافة:

ثخانة العقل وحفه بالقسم حصافة إذا كان جيد الرأي محكم العقل والحصيف الرجل المحكم بالعقل[٨١]. وحصف حصافة كان جيد الرأي محكم العقل[٨٢] .

١٩. النظر:

النظر تقلب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته وقد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٨٣]، أي تأملوا . والنظر التكلف وهو نظر بفراسة وعلم[٨٤]. ونظر في الأمر تدبَّر وفكَّر فيه[٨٥] .

٢٠. التذكر:

الذكر غير التذكر، التذكر هو استعمال فكره وإحضاره، أي إحضار العلم المخزون بعد ذهابه وغيبته[٨٦] .

٢١. الذكر :

الذكر حفظ الشيء قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾ [٨٧] أي ادرسوا ما فيه . والذكر تارة يراد به هيئة النفس بما يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وتارة يقال لحضور الشيء في القلب أو القول . لهذا قيل الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان[٨٨].

٢٢. التفكر:

التفكر إِعمال النظر وإعمال الخاطر وتفكر في الأمر أعمل الخاطر فيه وتأمله، وفي استعمال العامة افتكر بمعنى تأمل وفي الصحاح التفكر التأمل، والتفكر هو إحضار معرفتين في القلب يستمد منهما معرفة ثالثه وفكر أعمل الفعل

([٧٢]) سورة المؤمنون، الآية ٦٨.

([٧٣]) سورة النساء، الآية ٨٢.

([٧٤]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٢٠٥

([٧٥]) المرجع السابق، ص٧٠٩

([٧٦]) سورة آل عمران، الآية ١٩٠

([٧٧]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٧٢٩

([٧٨]) المرجع السابق، ص٢٠٩

([٧٩]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٧٠٦

([٨٠]) أنيس، وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص١٢

([٨١]) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٤٨

([٨٢]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٧٣

([٨٣]) سورة يونس، الآية ١٠١.

([٨٤]) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص٢٤٥

([٨٥]) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٨١٧

([٨٦]) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص ٣٧٦

([٨٧]) سورة البقرة، الآية ٦٣.

([٨٨]) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص ٣٧٦-٣٧٧

والتفكر إعمال العقل، حل مشكله . الفكر الصورة الذهنية لأمر ما[٨٩].

٢٣. التفكير :

لغة مصدر فكَّر يُفكِّر ونعني إعمال العقل في الأمر ليصل مستعيناً ببعض ما يعلم إلى المجهول والفكرة[٩٠] .

والفكرة تعني ما يجول بالخاطر وهو موضوع التفكير. وكل مشتقات الكلمة لها مصدر واحد ومعاني متقاربة . وتفكر تفكراً في الأمر أعمل فيه عقله وفكره[٩١].

٢٤. البديهة :

هي المبادرة وانتهاز الفرصة في وقتها. وبداهةً عدم طول التفكير يقال (أجاب على البديهة) أي من غير تفكر (وفلان ذو بديهة) أي يفهم ما طرح له من أول وهلة[٩٢]. والبديهة وضوح الأفكار والقضايا بحيث تعرض نفسها على الذهن[٩٣].

٢٥. الفؤاد :

في اللغة يعني القلب وذُكِرَ في القران الكريم ضمن مرادفات العقل . ويتبع ذكره الأفئدة والسمع والأبصار كوسائل للمعرفة ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٩٤]. والفؤاد ربما اطلق على العقل[٩٥] .

٢٦. النبل :

في فقه اللغة أي الذكاء والنجابة ونبل نبالة كان ذا نبل أي نجابة وفضل والنبل الذكاء وذو النجابة الرجل العلامة والنبالة ومن نبل وهي الذكاء والشرف[٩٦] .

٢٧. النقاب :

في فقه اللغة الذي استفاد العلم والدهاء[٩٧] وتعني الرجل العلامة[٩٨] والنقاب تعني العلامة الفطن[٩٩].

٢٨. النحرير : الحاذق من الرجال الماهر – الفطين البصير بكل شئ[١٠٠] .

النحرير: الحاذق الفطن العاقل وقيل العالم بالشئ المجرب[١٠١] والنحرير العالم الحاذق .

٢٩. الحذق : ورد في فقه اللغة بمعنى المهارة في كل شئ[١٠٢].

٣٠. الحدس: سرعة الانتقال في الفهم والاستنتاج[١٠٣].

والحدس : ادراك الشئ ادراك مباشر[١٠٤] .

إذا ترى الباحثة ايا كان مصطلح العقل أوالذكاء فهي مترادفات لكلمات تحمل نفس المعنى، والذي يدل على قدرات عقلية بمستوى عال تمكن الفرد من الخروج من المأذق والمبادرة في حل المشكلات وحسن التصرف والقبول السريع.

جدلية الذكاء بين الوراثة والبيئة في التراث

---

(٨٩) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٦٩٨، ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٦٥ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص ٣٤٥ المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٥٩١

(٩٠) المعجم العربي الإسلامي(١٩٨٩م) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،لاروس، ص١٩٨

(٩١) مسعود، جبران(١٩٩٠) معجم الرائد، الجزء الثاني ، ط ٦، دار الملايين ، ص١٠٠١

(٩٢) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٢٩

(٩٣) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٦٢

(٩٤) سورة الإسراء ، الآية ٣٦.

(٩٥) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٥٦٥.

(٩٦) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٨٩٨ المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٧٨٧.

(٩٧) الصعيدي ويوسف، الإفصاح في فقه اللغة، مرجع سابق، ص٨٢

(٩٨) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٨٢٩.

(٩٩) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٩٤٣.

(١٠٠) الصعيدي ويوسف، الإفصاح في فقه اللغة، مرجع سابق، ص٨٢

(١٠١) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص٤٩٤

(١٠٢) الصعيدي ويوسف، الإفصاح في فقه اللغة، مرجع سابق، ص٨٣

(١٠٣) المنجد، المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص١٢٢

(١٠٤) مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص١٦١

الإسلامي

التفسير التراثي الإسلامي للوراثة والبيئة :

إنَّ التراث الإسلامي أكد على وجود علاقة تفاعل بين كل من الوراثة والبيئة في تحديد الذكاء. و بذا يكون التراث الإسلامي على توافق مع رأي العلماء الذين يرون أنَّ الذكاء تفاعل بين الوراثة والبيئة أقرب إلى الصواب من غيرهم لإنَّ التراث الإسلامي أيّد رأيهم وهناك كثير من الأدلة في القران والسنة توضح موقف التراث في هذه الناحية منها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[١٠٥].

تعني الآية في تفسير القرطبي أنَّ الله أخرجكم لا تعلمون شيئاً وأخذ عليكم الميثاق في أصلاب إمائكم. وورد تفسير آخر يعني أخرجكم الله لا تعلمون شيئاً مما قضي عليكم من السعادة والشقاء أو من حيث لا تعلمون شيئاً من منافعكم .

وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي ، والإبصار لتبصروا بها آثار صنعه والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته[١٠٦] (القرطبي، ب ت) . وتكون هذه القدرات في حالة تكون بدائية تحتاج إلى تدريب الإنسان على حسب نوع التربية التي يتلقاها الإنسان وطبقاً لوعي القائمين على تربية هذه القدرات وخبراتهم.[١٠٧].

ويدعو ابن الجوزي على الحرص على تربية العقل وهو يرى أنَّ ذكاء المرء قد يقف ولا ينمو عندما يعمل في بيئة غير ملائمة وينمو بصورة أكبر عندما تعمل البيئة على شحذه [١٠٨].

ويركز ابن الجوزي مرة أخرى على أهمية الوراثة والبيئة في تنمية الذكاء فيقول : إنّ ذكر المغفلين يحس المتيقظ على إتقاء أسباب الغفلة إذ ذلك داخلاً تحت الكسب وعاملة في الرياضة، وأما إذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع فأنّها لا تكاد تقبل التغير[١٠٩] .

كما ان الوسط البيئي له تاثير كبير و جوهري في ابراز الاستعدادات الوراثية ولكنه لا يوجدها من العدم. ووهو ما اثبته العلماء من ان العومل البيئية لا تعمل من فراغ، بل تستند الى الاستعدادات الوراثية التي يفسر التفاوت فيها الاختلافات بين الافراد في البيئة الواحدة. وقد ادت هذه القناعة باهمية الوراثية الى حض المسلمين على اختيار الاصل الصالح في تأسيس الاسر وانجاب الذرية.[١١٠] .

إذا يمكن للباحثة القول ان العقل عند مفكري الإسلام استعداد فطري لا سلطان مباشر على مبدئه. إلا ان سبل تنميته وتطويره من الممكنات التي يجب السعي لتحقيقها باستخدام الوسائل المختلفة وتوفير البيئات الملائمة. وقد استفاض المسلمون في الاشارة الى العوامل البيئية المحيطة التي تؤثر على نمو الطفل بدءا بصفات امه ومرضعته ومربيته ومأكله وملبسه وحال معلميه ومؤدبيه ورفقائه ومناشطه وكيفية العناية به وتهذيبه وتعليمه خلال مراحل نموه المختلفة.

نظريات الذكاء عند علماء التراث الإسلامي:

هنالك العديد من النظريات في العقل بمعنى الذكاء لعلماء مسلمين سنتعرض لبعض منها .

١. **العقل عند بن سيناء:**

---

(١٠٥) سورة النحل ، الآية ٧٨.

(١٠٦) القرطبي، محمد ابن أحمد الأنصاري(د.ت) الجامع لاحكام القرآن، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ص١٥١

(١٠٧) الكيلاني، ماجد عرسان(١٩٩٠م) مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح .ـــ كتاب الأمة ، عدد ٢٩ ، ج١، ص٥١٧

(١٠٨) عبد الله ، عبد الرحمن صالح(١٩٨٦م) ابن الجوزي وتربية العقل، شركة مكة للطباعة والنشر، مكة ، ص٤٥-٤٦

(١٠٩) ابن الجوزي، الأذكياء، مرجع سابق، ص٦

(١١٠) مفرح، اسراء محمد البشير(٢٠٠٩م) مؤثرات الوراثة والبيئة على النمو العقلي للطفل بين التراث الإسلامي وعلم النفس، دكتوراة، جامعة الخرطوم، الدراسات الإسلامية

يتميز الإنسان عن سائر الحيوانات بأنّ لـه نفساً ناطقة أو عقلاً يميز به، بين الجميل والقبيح وبين الخير والش، وبين ما ينبغي فعله وما لا ينبغي، كما يدرك به المعقولات المجردة، ويقسم ابن سيناء العقل كما فعل الفارابي من قبل، إلى عقل عملي وعقل نظري فالعقل العملي هو القوة التي تختص بالرويَّة في الأمور الجزئية، فيما ينبغي أنْ يُفْعَلُ أو يُترك، مما يَنْفع أو يَضُرُّ، ومما هو جميل أو قبيح وخير وشر، فالأخلاق تكون للنفس من جهة العقل العملي وكذلك انفعالات الخجل والحياء والضحك والبكاء أيضاً تحدث من جهته، وهو يستعمل القوانين المتخيلة والوهمية في استنباط التدابير في الأمور الكائنة والفاسدة، واستنباط الصناعات الإنسانية . فإذا حكمت هذه القوة تبع حكمها حركة القوة الإجماعية إلى تحريك البدن . أما العقل النظري عند أبن سينا فهو القوة التي تدرك الصور الكلية المجردة ، وهذا إما أنْ تكون مجردة بذاتها ، وإما أنْ تكون مجردة بتجريد العقل إياها من المادة ولواحقها وللعقل النظري مراتب هي عبارة عن المراحل المختلفة لعملية الإدراك العقلي .

١. العقل الهيولاني:

أنَّ العقل قبل أدراكه للمعقولات يكون عقلاً بالقوة أو عقلاً هيولانياً وهو عبارة عن الإستعداد المطلق الموجود عند الإنسان لإدراك المعقولات ، قبل أنَّ يخرج هذا الاستعداد إلى الفعل مثل الاستعداد الموجود في الطفل للكتابة .

٢. العقل بالملكة:

في حالة العقل بالملكة . وحينما يدرك العقل المعقولات الأولى وهي المقدمات التي يقع التصديق بها بلا اكتساب مثل " أنَّ الكل أعظم من الجزء " و" أنَّ المقادير المساوية لشيء ما متساوية " فأنّه يصبح عقلاً بالملكة، ويمثل ابن سينا العقل بالملكة بقوة الطفل الذي عرف القلم والدواية وبسائط الحروف على الكتابة .

٣. العقل بالفعل:

وحينما يدرك العقل المعقولات الثواني التي يتوصل إلى اكتسابها بالإستعانه بالمعقولات الأولى فأنّه يصبح حينئذ عقلاً بالفعل، غير انه لا يطالعها ولا يرجع إليها بالفعل ولكنه يستطيع أنَّ يطالعها متى شاء، ألاانه عقل يعقل متى يشاء بلا تكلف اكتساب.

٤. العقل المستفاد : وحينما تكون المعقولات حاضرة في العقل بالفعل وهو يطالعها بالفعل، ويعقلها بالفعل، ولا يعقل انه يعقلها بالفعل، فانه يصبح عقلاً مستفاداً، وهو كمال العقل وبه يتم كمال الإنسان، وسُمِّي بالعقل المستفاد لأنه يستفيد معقولاته ويستمدها من عقل مفارق خارج عنه، هو العقل الفعَّال الذي يكون بالنسبة له كالشمس بالنسبة للبصر فكما أنَّ شعاع الشمس يجعل العين مبصرة، فكذلك العقل الفعَّال ينقل العقل في القوة إلى الفعل ويعطيه المعقولات التي يعقلها بالفعل[١١١] .

٢. العقل عند الغزالى :

القوة الناطقة يقسمها الغزالي متبعاً في ذلك الفارابي وابن سينا إلى قوة عاملة وعالمة وتتسم كل واحدة منهما عقلاً، ويشرح الغزالي وظائف كل من هاتين القوتين ناقلاً حرفياً ما سبق أنَّ قاله ابن سينا عن النفس الناطقة ووظائفها .

فالقوة العاملة هي التي تتولى مسئولية تدبير البدن بالاشتراك مع القوة النزوعية، تقوم بدفع الإنسان إلى القيام بالأفعال الجزئية الخاصة به مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء وما أشبه ذلك، وهي بالاشتراك مع القوتين المتخيلة والمتوهمة تقوم

([١١١]) البدوي، عبد الرحمن(١٩٧٣م) رسائل فلسفية، بنغازي ، ص٦٥-٦٧

باستنباط الصنائع والمهن المختلفة ، وأما بالنسبة لإشتراكها مع القوة العالمة أو العقل النظري فانه فيما بينهما تتولد الآراء الخلقية، مثل الصدق حسن والكذب قبيح، والعدل جميل والظلم قبيح والقوة العاملة هي التي يجب أنْ تتسلط على سائر قوى البدن وتوجهه على حسب ما توجبه أحكام العقل النظري، ويجب أنْ تكون هي المسيطرة والموجهة لقوى البدن.

وحينئذ تكون أخلاقها فاضلة، أمّا إذا خضعت هي لقوى البدن فان ذلك يجعل أخلاقها رذيلة ، فالقوة العاملة إذن هي المسئولة عن الأخلاق . ويذكر الغزالي مراتب العقل النظري على نحو ما قال الفارابي وابن سينا من قبل وهو ينقل حرفياً ما قاله ابن سينا عن مراتب العقل في " النجاة " " أحوال النفس "[١١٢] .

١. العقل الهيولاني:

إنَّ الإستعداد المطلق الموجود عند الطفل لإدراك المعقولات الكلية، من قبل أنْ يُدرك الطفل شيئاً بعد في المعقولات، يُسمى عقلاً هيولانياً وذلك مثل إستعداد الطفل على تعلم الكتابة .

٢. العقل بالملكة:

فإذا اكتسب العقل المعقولات الأولي فإنّه يُسمي عقلاً ممكناً أو عقلاً بالملكة . ويُعنى بالمعقولات الأولى المقدمات التي يقع التصديق بها من غير اكتساب، وهي المبادئ العقلية الضرورية التي يشعر الإنسان أنه لا يجوز أنْ يخلو عن التصديق بها البتة ، مثل الاعتقاد بأن الكل أعظم من الجزء وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية ، وهذه هي التي تسمى بالعلوم الضرورية ، والتي يتوصل بها إلى المعقولات الثانية .

٣. العقل بالفعل:

فإذا حصل العقل بعد المعقولات الأولى على المعقولات الثانية أو المعقولات المكتسبة، إلا انه لا يطالعها بالفعل. ولكنها تكون كأنّها مخزونة لديه يستطيع أنْ يعيدها متي شاء ويعقلها فإذا أعقلها تسمى حينئذ عقلاً بالفعل ، لأنه يعقل متى شاء بلا اكتساب تكلف أو تجشم .

٤. العقل المستفاد:

فإذا كانت الصور المعقولة حاضرة بالفعل وهو يعقلها بالفعل ويعقل أنّه يعقلها بالفعل ، فأنّه يُسمى حينئذ عقلاً قدسياً، وسُمى عقلاً مستفاداً، لأنه إنما خرج في القوة إلى الفعل نتيجة اتصاله بالعقل الفعَّال واستفادته من الصور المعقولة .

(وعند العقل المستفاد يتم الجنس الحيواني والنوع الإنساني . وهناك تكون القوة الإنسانية تشبهت بالمبادئ الأولية للوجود كله) .

والعقل الهيولاني الذي هو الاستعداد المطلق في الإنسان لإدراك المعقولات الكلية ، ليس متشابهاً عند جميع الناس، بل توجد عندهم فروق في هذا الاستعداد، ويرجع الغزالي هذه الفروق إلى الإختلافات في أمزجة البدن من وجهة، وإلى الاختلافات في طوالع الكواكب وأجرام السماوات من جهة أخرى . حيث يقول الغزالي: (وإنْ قيل : إنّ النفس الإنسانية متشابهة في النوع وتُسلَّم ذلك، فلا شك إنها مختلفة من الشخص والعين، بحسب اختلاف العوارض المشخصة، فيختلف العقل الهيولاني على حسب ذلك . فان النفس إنما تفيض في المبادئ على قدر الإستعداد فكلما كان المزاج أعدل كانت النفس أشرف، وينضاف إليه طوالع الكواكب وأجرام السماوات)[١١٣] .

٣. العقل عند أخوان الصَّفاء :

يعرف أخوان الصفاء العقل الإنساني بأنّه قوى النفس الإنسانية التي فعلها التفكير والرويَّة والنطق والتمييز والصنائع كلها " ويعني أخوان الصفا بالفكر استخراج الغامض من العلوم وبالروية تدبير الملك وسياسة الأمور، وبالتصور أدرك حقيقة الأشياء. ويبدو من ذلك أنَّ القوة المفكرة

(١١٢) الغزالي، أحياء علوم الدين، مرجع سابق، ص٥٢

(١١٣) المرجع السابق، ص٥٣

هي القوة النفسانية التي تجتاز فيها النفس مجال الإدراك الحسي إلى مجال الإدراك العقلي، هي القوة التي تنظر بها النفس إلى رسوم المدركات الحسية التي حصلت عليها في الحواس وتعمل فيها أعمال الفكر والرؤية والتصور والجمع والقياس فتستنبط منها المعقولات التي هي موضوع العقل .

وجعل أخوان الصفا مركز العقل أو القوى العاقلة وبسط الدماغ ، هو نفس مركز القوة المفكرة .

والناس متفاوتون في درجات عقولهم تفاوتاً كبيراً ويرجعون ذلك لعدة أسباب، منها اختلاف جواهر النفوس، باختلاف أمزجة الأبدان، وكثرة العلوم والمعارف التي لا يمكن أنْ يُحَصِّلها كل الناس بصورة واحدة وفي وقت واحد، وكثرة صنائعهم وتصاريفهم في طلب معاشهم، والاختلاف في الحسن والقبح ، ومجاري عاداتهم في الجودة والرداءة وتباين مذاهب آبائهم وآراء أساتذتهم ومعلميهم[١١٤] .

٤. العقل عند ابن القيم الجوزية :

يشيد ابن قيم الجوزية بقيمة العقل وفضله ، فهو آله كل علم وميزاته الذي به يعرف صحيحه من سقيمه ويذكر قول بعض الحكماء السابقين وهو إنَّ " العقل ملك ، والبدن وروحه وحواسه وحركاته كلها رعية له، فإذا ضعف عن القيام عليها وتعهدها وصل الخلل أليها كلها ".

ويقول ابن القيم إنَّ " العقل عقلان : عقل غريزة وهو أبُ العلم ومربيه ومثُمَّره ، وعقل مكتسب مستفاد، وهو ولد العلم وثُمَّرته ونتيجته ، فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واستقام له أمره، وقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب، وإذا فقد أحدهما فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه ، وإذا انفرد انتقص الرجل بنقصان أحدهما

ويذكر ابن القيم أنَّ من الناس من يرجح صاحب العقل الغريزي ومنهم من يرجح صاحب العقل المكتسب والتحقيق أنَّ صاحب العقل الغريزي الذي لا علم له ولا تجربة عنده آفته التي يؤتى منها الإحجام وترك انتهاز الفرص، لان عقله يعقله عن انتهاز الفرص لعدم علمه بها.

وصاحب العقل المكتسب يؤتى من الإقدام : فأنّ علمه بالفرص وطرقها يغنيه عن المبادرة أليها وعقله الغريزي لا يطيق رده عنها ، فهو غالباً يؤتى من إقدامه ، والأول من إحجامه .

ويقسم ابن القيم العقل أيضاً إلى عقل علمي وعقل عملي كما فصل الفلاسفة السابقون مثل الفارابي وابن سيناء، وذكر وجود فروق بين الناس، من حيث تفوق وغلبة إحدى هذين العقلين على الآخر . فمن الناس من تكون قوته العقلية العلمية أقوى وأغلب القوتين عليه ويكون ضعيفاً في القوة الأخرى . ومنهم من يكون عكس ذلك[١١٥]

٥. قول ابن إسحق الكندي في العقل:

فهمك الله جميع النافعات وأسعدك في دار الحياة ودار الممات، فهمت الذي سألت: من رسم قولٍ في العقل، موجز خبري، على رأي المحمودين من قدماء الفلاسفة ومن أرسطا طاليس ومعلمه أفلاطون الحكيم: إذا كان حاصل قول أفلاطون في ذلك قول تلميذه أرسطا طاليس فلنقل في ذلك على السبيل الخبري فنقول :

أنَّ رأي أرسطا طاليس في العقل على أنواع أربعة :

الأول منها : العقل الذي بالفعل أبداً ، والثاني: العقل الذي بالقوة وهو للنفس ، والثالث: العقل الذي خرج من النفس من القوة إلى الفعل .

---

(١١٤) البستاني، بطرس(١٩٧٦م) أخوان الصفا وخلان الوفا ، رسائل أخوان الصفا ، دار حيان للنشر، بيروت، ص٦٧-٧٠

(١١٥) ابن القيم (١٤٠٢هـ) طريق الهجرتين وباب السعادتين، بيروت، دار الكتب العلمية .

والرابع: العقل الذي نسميه البياني وهو الذي يمثل العقل بالحس، لقرب الحس من الحي وعمومه له أجمع . فانه يقول ــ أي أرسطو أنَّ الصورة صورتان . أما إحدى الصورتين فالهيولانيه فهي الواقعة تحت الحس، أما الأخرى فالتي ليست بذات هيولي وهي الواقعة تحت العقل وهي نوعية الأشياء وما فوقها .

فالصورة التى في الهيولي هى التى بالفعل محسوسة ، لانها لو لم تكن بالفعل محسوسة لم تقع تحت الحس . فإذا أفادتها النفس فهي في النفس . وإنما تفيدها النفس لأنّها في النفس بالقوة . فإذا باشرتها النفس صارت في النفس بالفعل وليست تصير في النفس كالشئ في الوعاء. وكذلك أيضاً القوة الحاسة ، ليست هي بشئ غير النفس ، ولا هي في النفس كالعضو في الجسم ، بل هى النفس وهى الحاس وكذلك الصورة لغير أو غيريه ، فإذن المحسوس في النفس هو الحاس[١١٦] .

فأما الهيولاني فإنّ محسوسها غير النفس الحاسة ، فإذن من جهة الهيولي المحسوس ليس هو الحاس، وكذلك يمتثل العقل . فأنّ النفس إذا باشرت العقل، أعني الصور التي لاهيولي لها ولا فنطاسيا، اتحدت بالنفس، تعني أنّها كانت موجودة في النفس بالفعل، وقد كانت قبل ذلك لا موجودة فيها بالفعل بل بالقوة فهذه الصور التي لاهيولي لها ولافنطاسيا هي العقل المستفاد للنفس في العقل الأول الذي هو نوعية الأشياء التي هي بالفعل أبداً، وإنّما صار مفيداً والنفس مستفيدة ، لأنّ النفس بالقوة عاقلة، والعقل الأول بالفعل .

فأنها إذا اتحدت الصورة العقلية بها ، لم تكن هي والصورة العقلية متغايرة لأنها ليست بمنقسمة . فإذا اتحدت بها الصورة العقلية فهي والعقل شئ واحد ، فهي عاقلة فتتغاير فإذن العقل والمعقول شئ واحد من جهة النفس فأما العقل الذي بالفعل أبداً، المخرج النفس إلى أنْ تصير بالفعل عاقلة بعد أنْ كانت عاقلة بالقوة " فليس هو والشيء الذي يعقله بشيء واحد . فإذن المعقول في النفس والعقل الأول من جهة العقل الأول ، ليس بشيء واحد ، فإما من جهة النفس فالعقل والمعقول شئ واحد. إذن العقل الذي بالبسيط أشبه بالنفس . فإذن العقل أما أول لجميع المعقولات والعقول الثواني وإما ثان وهو بالقوة للنفس ما لم تكن النفس عاقلة بالفعل[١١٧] .

والثالث: هو الذي بالفعل للنفس قد اقتنته وصار لها موجوداً متى شاءت استعملته وأظهرته لوجود غيرها منها ــ كالكتاب في الكاتب . فهي له معده ممكنة، قد أقتناها وثبتت في نفسه ، فهو يخرجها ويستعملها متى شاء .

وأما الرابع: فهو العقل الظاهر في النفس متى أخرجته فكان موجوداً لغيرها منها بالفعل ، فإذن الفصل بين الثالث والرابع، أنَّ الثالث قنية للنفس قد مضي وقت مبتدأ قنيتها ، ولها أنَّ تخرجه متى شاءت ، والرابع انه إما وقت قنيتة أولاً ، وإما وقت ظهوره ثانياً متى إستعملته النفس . فإذن الثالث هو الذي للنفس قنية قد تقدمت ومتى شاءت كان موجوداً فيها ، وإما الرابع فهو الظاهر في النفس متى ظهر بالفعل .

٦. العقل عند ابن تيميه :

يقول ابن تيميه: أنَّ لفظي النفس والعقل عند الفلاسفة إنّما يدلان على شئ واحد فهم يستخدمون لفظ النفس من حيث هي مدبرة للبدن " فإذا فارقت سموها عقلاً لان العقل عندهم هو المجرد عن المادة وعن علائق المادة، أما النفس فهي المتعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصريف " وينتقد ابن تيميه

(١١٦) البدوي، عبد الرحمن(١٩٧٣م) رسائل فلسفية، بنغازي ، ص١-٢

(١١٧) المرجع السابق، ص٣-٥

الفلاسفة الذين يذهبون إلى إنْ العقل جوهر قائم بنفسه

يقول ابن تيميه : " العقل في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل ، سواء سُميِّ عوضاً أو صفة ، ليس هو عيناً قائمة بذاتها، سواء سمي جوهراً أو جسماً أو غير لك ، وإنما يوجد التعبير بأسم العقل عن الذات العاقلة التي هي جوهر قائم بنفسه في كلام طائفة من الفلاسفة الذين يتكلمون في العقل والنفس ويدعون ثبات عقول عشرة " .

ويقول ابن تيميه أيضاً : " ثُمَّ من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أنَّ أسم العقل يتناول هذا وهذا . وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار " .

أما فيما يتعلق بمسكن العقل فيقول ابن تيميه : " فالعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل ، أما في البدن فهو متعلق بقلبه كما قال الله تعالى : " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، وقيل لابن العباس وبما نلت العلم ، قال " بلسان سؤول وقلب عقول " .

يمكن للباحثة القول أن العلماء المسلمون تناولوا العقل كل حسب نظريته الى ماهية العقل ووظيفته. فأول مراتب العقل وأول العقول الإنسانية هو العقل الذي يمثل قدرة النفس على التعقل او الاستعداد لقبول صور أو إدراك المعقولات. ويسمى العقل الهيولاني الذي يقول عنه الفارابي: أما العقل الإنساني الذي يحصل له بالطبع في أول أمره فانه هيئة ما في مادة معدة لان تقبل رسوم المعقولات فهو بالقوة عقل وعقل هيولاني. ويسميه ابن سينا العقل المطلق او القوة المطلقه، ويمثله بقوة الطفل على القراءة والكتابة قبل أن يتعلمها فهو استعداد فطري مطلق موجود لدى كل إنسان سوي.

ثم يرقى العقل مرتبة بتملكه لما يعرف ببداهة من المعقولات المشتركة لجميع الناس من مباديء أخلاقية وعلمية فهو عقل بالملكة. او قوة ممكنة مما يمكن أن يخرج إلى حيز الفعل ويمثلها ابن سينا بقوة الصبي على الكتابة بعد أن عرف أدواتها. وفي حين يسمي الفارابي هذه المرتبة العقل بالفعل، يعتبرها ابن سينا مرتبة ممهدة لمرتبة العقل بالفعل الذي يسميه بالقوة الكمالية التي تكتمل فيها القوة و الاستعداد لإخراج ما لديه إلى الفعل متى شاء ويمثلها" قوة الكاتب الذي استكمل صناعة الكتابة وإن كان في حالة لا يكتب فيها.

وتتمثل مرتبة كمال العقل الإنساني وكمال الإنسان في العقل المستفاد الذي يستمد معقولاته من عقل مفارق خارج عنه هو العقل الفعال. وهو الذي ينقله من القوة الى الفعل فهو له كالشمس بالنسبة للبصر. فهذا العقل المستفاد هوالصلة بين العالم العلوي والعالم المادي. ويتفاوت الناس في درجات استعدادهم للتقبل منه لذا يتفاوتون في الفهم والادراك والقدرة على التعلم.[١١٨] .

أما القاضي عبد الجبار المعتزلي، فيرتبط العقل عنده بما يصح به التكليف فهو جملة علوم مخصوصة متى حصلت في المكلف صح منه الاستدلال والنظر. أما الغزالي فقد تميز تناوله لتطور العقل والملكات الفكرية بترجيح آراء المحاسبي حول كون العقل غريزة إلا أنه أشار في الإحياء كذلك للقسمة الرباعية المتدرجة للعقل التي تميز بها الفلاسفة. كذلك اشار الغزالي إلى اكتساب العقل على التدريج والمغزى من وراء ذلك، حيث يقول في رسالته "الحكمة في مخلوقات

([١١٨]) البدوي، عبد الرحمن(١٩٧٣م) رسائل فلسفية، بنغازي ، ص٦٧.

الله عز وجل" : يولد الإنسان جاهلا ويكتسب العقل على التدريج لحين كماله وبلوغه... فازدياد العقل على التدريج أصلح له [١١٩].

اذا مما سبق نلاحظ تناول العلماء المسلمون العقل كل حسب نظرته إلى ماهية العقل ووظيفته. فالتناول الفلسفي لقوى الإنسان الناطقة وجانبها النظري على وجه الخصوص يبين تدرجها من عقل أولي فطري يمثل الاستعداد او القابلية للتعقل. ورغم تباين آراء الفلاسفة حول تعداد وتسمية درجات الارتقاء من هذا العقل الهيولاني إلى أقصى ما يمكن بلوغه من عقل انساني، إلا أن النظرة إلى تدرج القوى او العقول تجمعهم بلا استثناء.

الخاتمة:

إن التوجه الجديد في دراسة العقل والذكاء يتيح لكل باحث في مجال العقل والقوى العقلية ان يسهم في اثراء دراسة العقل والافادة منها في الحياة العملية مهما كانت اهتماماته وتوجهاته وقناعاته. فكأنما في نهاية المطاف تعود دراسة الذكاء بالباحثين إلى النظرة القرآنية للعقل، النظرة التي تثبت وجود الشيء الذي يستدل عليه بفعله وأثره على تصرفات او سلوك الإنسان وهو الذي تتكرر الاشارة فيه الى الادوات الجسمية المرتبطة به لتحصيل العلم الدنيوي، بينما تشير بعض الآيات على مصدرية اخرى لعلومه بجانب الحواس" وهديناه النجدين" "نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء".

تمييز العوامل المؤثرة على النمو العقلي التي لا تقف عند حدود الوراثة والبيئة كعاملين رئيسيين مؤثرين على النمو العقلي بمعزل عن العوامل الاخرى. بل إن النظرة الى العوامل المؤثرة على النمو العقلي ارتبطت بتقديم أثر قدر ومشيئة الله على العوامل الوراثية والبيئية في تحديد مسار النمو العقلي وما يرتبط به من انماط السلوك الديني والأخلاقي والاجتماعي الذي يخضع كذلك للارادة الفردية والاختيار. إذا يمكن القول إنه أياً كان مفهوم الذكاء في التراث الإسلامي ونظرياته وآراء علمائه فهو يعني معنى العقل أي وظيفة العقل وإعماله في شتى مجالات الحياة لما يواجهه الفرد في الحياة.

النتائج:

خلص البحث الى النتائج التالية:

١. أياً كان مصطلح العقل أوالذكاء فهي مترادفات لكلمات تحمل نفس المعنى، والذي يدل على قدرات عقلية بمستوى عال تمكن الفرد من الخروج من المأذق والمبادرة في حل المشكلات وحسن التصرف والبداهة.
٢. أن تعريف العقل يدل على صفة غير مادية اذا كانت فكرية، روحية، مادية او مدركة تسيره بذكاء للتصرف في المواقف المختلفة في الحياة.
٣. العقل عند علماء الإسلام استعداد فطري لا سلطان مباشر على مبدئه. إلا أن سبل تنميته وتطويره من الممكنات التي يجب السعي لتحقيقها باستخدام الوسائل المختلفة وتوفير البيئات الملائمة. فاثبت التراث الإسلامي أهمية الوراثة والبيئة معا على الإنسان جسمياً ونفسياً وعقليّاً وسلوكيّاً.
٤. تباينت آراء ونظريات علماء المسلمين حول وظائف وتعداد وتسمية درجات الارتقاء العقلي في اقصى ما يمكن بلوغه في العقل الإنساني، الا ان النظرة الى ماهية العقل ووظيفته وتدرجه تجمعهم جميعا.

التوصيات:

توصي الباحثة بضرورة البحث في كتب العلماء المسلمين والتراث الإسلامي لاستخراج ما خطه وكتبه علماء التراث في كل مجالات علم النفس

([١١٩]) الغزالي ، أبو حامد بن محمد (د.ت) معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، " تحقيق " الأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو العلاء ، مكتبة الجندي .

والعلوم الأخرى ،حتى نثرى الجانب العلمي بالتاصيل الإسلامي والارث الديني العظيم.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

١. الغزالي، أبو حامد بن محمد(١٩٣٩م) أحياء علوم الدين، مكتبة ومطبعة الحلبي وأولاده ، مصر.

٢. عريفج ، سامي(١٩٩٩م) علم النفس التربوي، ط٤ ، د.ن

٣. الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٩٦١م) المفردات في غريب القرآن، "تحقيق : محمد سيد الكيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم(١٩٩٠م) لسان العرب، المعارف المصرية، مصر.

٥. أنيس، إبراهيم وآخرون (١٩٧٢م) المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث العربي، ج١، ط٢، بيروت.

٦. المنجد، صلاح الدين(د.ت) المنجد في اللغة والإعلام، ط٢٨، دار المشرف، بيروت.

٧. الصعيدي ويوسف، عبد الفتاح وحسين(١٩٨٧م) الإفصاح في فقه اللغة، بيروت ، دار الكتب العلمية.

٨. ابن فارس، أبو الحسن (١٩٧١م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة ، البابي الحلبي.

٩. ابن الجوزي، عبد الرحمن (١٩٨٨م) الأذكياء، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت.

١٠. سالم، عبد العال مكروم(١٩٨٢م) مكانة العقل في الفكر الإسلامي، مجلة التضامن والفكر الإسلامي، مجلد ١٠، فبراير ١٤٠٢ هـ، مجلد ١٠.

١١. المحاسبي، الحارث ابن أسد(١٩٧٠م) العقل وفهم القرآن، تحقيق: القوتلي ، ط٢ ، دار الكتب الحديثة، القاهرة .

١٢. العقاد، عباس محمود(١٩٦٩م) التفكير فريضة إسلامية ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣. المليجي، حلمي(١٩٨٣م) علم النفس المعاصر، ط٥، دار المعرفة الجامعية.

١٤. الماوردي، علي ابن حبيب(١٩٧٨م) أدب الدين والدنيا ، ط٤، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية.

١٥. بركات، لطفي(١٩٨١م) الفكر التربوي في رعاية الموهبين، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية.

١٦. أبو حطب، فؤاد(١٩٨٩م) نحو وجهة نظر إسلامية لعلم النفس، أبحاث ندوة علم النفس التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالاشتراك مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية، القاهرة.

١٧. طه، الزبير بشير(١٩٩٥م) علم النفس في التراث الإسلامي ، دار جامعة الخرطوم للنشر .

١٨. الزبيدى، مرتضى محمد الحسين (١٩٧٦م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود الطحاني، راجعه مصطفى حجازي، الكويت : مطبعة حكومة الكويت .

١٩. المنجد، صلاح الدين(د.ت) المنجد في اللغة والإعلام ، ط٢٨، بيروت، دار المشرف .

٢٠. الصعيدي ويوسف، عبد الفتاح وحسين(١٩٨٧م) الإفصاح في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢١. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد(١٩٦١م) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر .

٢٢. المعجم العربي الإسلامي(١٩٨٩م) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس.

٢٣. مسعود، جبران(١٩٩٠) معجم الرائد، الجزء الثاني ، ط ٦، دار الملايين .

٢٤. القرطبي، محمد ابن أحمد الأنصاري(د.ت) الجامع لاحكام القرآن، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥. الكيلاني، ماجد عرسان(١٩٩٠م) مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح ، كتاب الأمة، عدد ٢٩.

٢٦. عبد الله، عبد الرحمن صالح(١٩٨٦م) ابن الجوزي وتربية العقل، شركة مكة للطباعة والنشر، مكة.

٢٧. مفرح، اسراء محمد البشير(٢٠٠٩م) مؤثرات الوراثة والبيئة على النمو العقلي للطفل بين التراث الإسلامي وعلم النفس، دكتوراة منشوره، جامعة الخرطوم، الدراسات الإسلامية.

٢٨. البستاني، بطرس(١٩٧٦م) أخوان الصفا وخلان الوفا ، رسائل أخوان الصفا ، دار حيان للنشر، بيروت.

٢٩. ابن سيناء، أبوعلي الحسن بن علي(١٩٧٥م) الشفاء ،الطبيعيات، النفس، تصدير ومراجعة: ابراهيم مدكور، تحقيق: جورج قنواتي، سعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

٣٠. الغزالي، أبو حامد بن محمد (د.ت) معارج القدس في مدارج معرفة النفس، " تحقيق " الأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو العلاء ، مكتبة الجندي .